الثعالبي مفسرًا

د. محمود محمد العنطور (*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فيعد الثعالبي مفسرًا من المفسرين الكبار الذين اتخذوا من علوم الإسلام أساسًا لنبوغهم العلمي، فكانت كتبه شاهدة على تفرده وتفوقه، وتفسيره (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) خير مثال على ما أقول، فقد ضمنه أكثر من مائة كتاب ومرجع في شتى علوم الإسلام واللغة العربية والتصوف، مما جعل له نهجًا خاصًا به في النقل عن غيره، واختيار ما يكتب، وكتابة ما يختار بأسلوب لا غموض فيه، ولا تعقيد غير أنه قد خفى على كثير من الباحثين والدارسين ولم يشتهر، وظل حبيسًا بين بطون الخزائن حتى ظهرت له عدة طبعات في أزمان متقاربة، فاستخرت الله تبارك وتعالى في الكتابة عن منهج صاحبه في تفسيره للقرآن الكريم الذي ظهر جليًا أنه تفسير بالرواية والأثر كغيره من كتب التفسير بالمأثور وإن كانت الناحية الصوفية قد غلبت على نقله وفكره، وأظن أن هذه الظاهرة عند الثعالبي تحتاج بحثًا منفصلاً، وهي سبب عدم ظهور الكتاب، وانتشاره من وجهة نظري، وإن كان التفسير في جملته لا غبار عليه من حيث مصادره ومنهجه واستقامة أسلوبه في النقل والاختصار عن غيره.

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة بها النتائج والمصادر والمراجع.

(*) قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية- كلية التربية - جامعة عين شمس.

الفصل الأول: حياة الثعالبي

١- اسمه ولقبه.

٢- رحلاته وثقافته.

الفصل الثاني: قيمة تفسيره العلمية.

١- طريقة تفسيره.

٢- مصادره العلمية وأنواعها.

الفصل الثالث: منهج الثعالبي في التفسير.

١- تفسير القرآن بالقرآن وأمثلة عليه.

٢- تفسير القرآن بأسباب النزول وأمثلة عليه.

٣- تفسير القرآن بالسنة ونماذج عليه.

٤- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ونماذج عليها

الفصل الرابع: موقف الثعالبي من الإسرائيليات في تفسيره.

الخاتمة وبها:

١- أهم النتائج.

٢- المصادر والمراجع.

٣- الفهرس.

- **الفصل الأول: حياة الثعالبي:**

اسمه ولقبه:

أجمعت المصادر التي كتبت عن حياة الثعالبي، وسجلت سيرته، على أن اسمه عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي[١].

(١) – السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٥٢/٤.
– أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج ٢٥٧.
– عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١٩٢/٥.
– البغدادي: إيضاح المكنون ١١٧/١.

ولم تختلف في كنيته بأبي زيد، وأما لقبه: فالثعالبي والجزائري والمغربي والمالكي، والأخير نسبة إلى مذهب الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه – الذي أخذ شهرة واسعة في بلاد المغرب دون غيره من المذاهب الفقهية الأخرى، وأما الثعالبي فنسبة إلى خياطة جلود الثعالب، وقد لقب بها غير واحد من العلماء[1].

ولد الثعالبي في الجزائر عام خمسة وثمانين وسبعمائة من الهجرة النبوية، الموافق لسنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وألف من الميلاد، وتوفى بها أيضًا عام خمسة وسبعين وثمانمائة من الهجرة الموافق لسنة سبعين وأربعمائة وألف من الميلاد[2]، عن تسعين عامًا من العمر، ودفن بالجزائر كما ذكر السخاوي، ولم تفسح المصادر المجال عن نشأة الثعالبي وحياته وإنما فصلت القول عن رحلاته وشيوخه وشهرته أكثر مما ذكرت عن بقية حياته.

رحلاته وثقافته:

عاش الثعالبي عمرًا طويلاً، زاهدًا عالمًا، وقد اتفق العلماء على صلاحه وإمامته، وأثنى عليه جمع من أساتذته يتقدمهم ولي الدين العراقي[3] شيخ

---

(١) السمعاني: الأنساب ٥٠٢، ٥٠٥ مثل أبي إسحاق الثعلبي المفسر، والثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد صاحب فقه اللغة.

(٢) – محمد محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٢٦٤.
– د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ٢٤٧/١.
– معجم أعلام الجزائر ٩٠.
– تاريخ الجزائر العام ٢٨٠/٢.

(٣) – أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن: ولي الدين أبو زرعة العراقي ٧٦٢-٨٢٦ هـ.
– الشوكاني: البدر الطالع ٨٢/١.

المحدثين في عصره، قال الثعالبي في التعريف برحلته إلى العالم الإسلامي: رحلت في طلب العلم في أواخر القرن الثامن، ودخلت بجاية في أوائل القرن التاسع، ولقيت بها من الأئمة أصحاب الفقيه عبد الرحمن الوغليسي[١] وأصحاب الفقيه أبي العباس أحمد بن إدريس[٢]، وهم أصحاب ورع ووقوف عند الحد لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وكانت عمدتي في القراءة على عليٍّ بن عثمان المانجلاتي بمسجد عين البربر، ثم دخلت تونس مرتحلاً في طلب العلم ٨٠٩ من الهجرة ووجدت بها أصحاب ابن عرفة[٣] وأخذت عنهم مثل عيسى الغبريني[٤] وعبد الله الأبي[٥] والبرزلي[٦] وأكثر عمدتي في تونس على الأبي.

---

(١) أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي من علماء المذهب المالكي ت ٨٣٣هـ، شجرة النور الزكية٢٣٧.

(٢) أبو العباس أحمد بن أحمد بن إدريس الشماع الهنتاتي، ت٨٣٣ هـ، شجرة النور الزكية ٢٤٢.

(٣) – أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ٧١٦-٨٠٣هـ
– ابن فرحون: الديباج المذهب ٣٤٠ ط بيروت.
– ابن مخلوف: شجرة النور الزكية ٢٢٨.

(٤) أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي قاضي الجماعة بعد ابن عرفة، توفى ٨١٥هـ، شجرة النور الزكية ٢٤٣.

(٥) أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالأبي، توفى ٨٢٧هـ شجرة النور الزكية ٢٤٤.

(٦) أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي توفى ٨٤١هـ وعمره ١٠٣ سنوات، شجرة النور الزكية ٢٤٥.

ثم رحل بعد ذلك إلى مصر وسمع البخاري علي البلالـي[١] وحضـر مجلس شيخ المالكية آنذاك أبي عبد الله البساطي.[٢] وشيخ المحدثين العراقي وأخذ عنه علومًا كثيرة معظمها في علم الحديث وفتح الله عليه فتحًا عظيمًا، وكتب له إجازة عامة وخاصة، ولقى الثعالبي بمصر ابن مـرزوق[٣] قادمًـا للحج، فأخذ عنه وتعلم منه.

ثم رجع إلى تونس مرة أخرى وأخذ الموطأ على أبي حفـص[٤] عمـر القلشاني الذي أجازه وأذن له في الإقراء والتعليم، وكذلك الأبي أجازه، وأخذ البخاري قراءة على البرزلي إلا قليلاً [٥] وعرض تفسيره الجواهر على ابن مرزوق في تونس في سفرة سافرها ابن مرزوق إلى تونس من تلمسان، فسر به سرورًا كبيرًا ودعا له بخير[٦]، ورحل إلى مكة ولقى بها بعض المحدثين ثم رجع إلى بلده، قال الثعالبي: وكان بعض المغاربة يقول لي لما قدمت من المشرق: كنت آية في علم الحديث، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوقني في علم الحديث، إذا تكلمت أنصتوا وقبلوا ما أرويه تواضعًا منهم وإنصافًا واعترافًـا بحقي، وهذه ميزة العلماء حينما يفيض علمهم على الناس، وللثعالبي مصنفات

---

(١) محمد بن علي بن جعفر الشمسي العجلوني ويعرف بـالبلالي ت ٨٢٠ هـ، الضـوء اللامع ١٧٨/٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد البساطي ٧٦٨-٨٤٢ هـ . شجرة النور الزكية ٢٤١.

(٣) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق الشهير بالخطيب ٧١٠-٧٨١هـ، شجرة النور الزكية: ٢٣٦

(٤) أبو حفص عمر القلشاني التونسي ٧٧٣-٨٤٧هـ، شجرة النور الزكية ٢٤٥.

(٥) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٤٠/٣.

(٦) التنبكتي: نيل الابتهاج ٢٥٩.

متعددة غير التفسير مثل روضة الأنوار، وجامع الأمهات في أحكام العبادات في الفقه المالكي، وله في الحديث المختار من الجوامع، وأربعون حديثًا مختارة، والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، والأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة، كتاب النصائح، جامع الفوائد، الإرشاد في مصالح العباد، كلها في الرقائق، وله شرح منظومة ابن بري في قراءة نافع، وله إرشاد السالك في تهذيب النفس، وتحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن، والذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز[١]. ونفائس القرآن في قصص القرآن، قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين في التصوف[٢].

- **الفصل الثاني: قيمة تفسيره العلمية:**

قيمة تفسير الثعالبي العلمية تظهر جلية في اتجاهين محددين، الاتجاه الأول: ما سلكه الثعالبي في تفسيره من طريقة تناوله للتفسير، ونوع تفسيره الذي غلب عليه التفسير بالمأثور، بل هو تفسير بالمأثور كغيره من المفسرين الذين سبقوه في هذا النوع الذي يعد الأصل في تفسير القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم بالرواية أو بالمأثور يعتمد على القرآن نفسه حيث إنه – أي المفسر– يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان قد فسر في آية أخرى، وما اختصر في آية فقد بسط في سورة أخرى، وما جاء عامًا فله مخصص في آية أخرى، وما كان مطلقًا فله مقيد في آية ثانية، وكل ذلك لحكمة أنزلها الله تبارك وتعالى في كتابه وهي التدبر في الكتاب واستخراج الأحكام من

(١) التنبكتي: نيل الابتهاج ٢٥٩

(٢) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١٩٢/٥.

مظانها، ثم تأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية من تفسير القرآن بالرواية، ثم أقوال الصحابة والتابعين، وهو مرهون بما صح عنهم، فيما لم يختلفوا فيه[1].

قال الشافعي: "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه – جل ثناؤه– من وجوه، فمنها ما أحكم فرضه بكتابه وبين كيف هو على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم – مثل عدد الصلوات والزكوات ووقتهم، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل في كتابه، ومنها ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله سبحانه وتعالى فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل"[2] وبعد ذلك فالرجوع إلى لغة العرب وبلاغتها وأساليبها في الكلام، مما تجدر الحاجة إليه عند التفسير في منهج الرواية، فالتفسير الذي يعتد به ويرجع إليه هو ما حوى كتاب الله تعالى نفسه ثم السنة النبوية ثم أقوال الصحابة والتابعين، وبخاصة أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقوال في التفسير، فقد جعلت طائفة قول الخلفاء الأربعة[3] حجة ودليلاً، مستشهدين بما في كتاب الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٣٩-٤٦.

(٢) الشافعي: الرسالة ٢٢.

(٣) الشاطبي: الموافقات ٤/٧٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] ففي الآية الأولى إثبات الأفضلية على الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الآية الثانية إثبات العدالة المطلقة، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى[2] ومن هنا قال الشاطبي: "وبعضهم عدّ قول الخلفاء الأربعة دليلاً وبعضهم عدّ قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلاً...."[3].

وتفسير الثعالبي المسمى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" قد سار على هذا المنوال في تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة وأكثر منها، وكذلك أقوال التابعين وبخاصة كبارهم، والرجوع إلى أقوال التابعين في التفسير، المشهور عند معظم المفسرين نقلها والاعتداد بها، وبخاصة فيما ليس للرأي فيه مدخل، ومنعها أحمد بن حنبل وقال شعبة بن الحجاج عنها ليست بحجة في الفروع، فكيف تكون حجة في التفسير، وهذا الرأي هو ما صححه ابن تيمية في مقدمته[4] ولكنهم إذا اجتمعوا على شيء من التفسير فلا ريب في صحته، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، والمعيار إذن لغة القرآن، وعموماته أو النقل الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويصبح قول التابعي بمثابة معرفة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) البغدادي: الكفاية في علم الرواية ٤٦/١.

(٣) الشاطبي: الموافقات ٧٧/٤.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ١٠٥.

– الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٥٨/٢.

القول للاعتبار لا لحجته على القائل وافقه أو خالفه[1] وعلى هذا المنهج سار الثعالبي في تفسيره [2] مرجعه فيه على أسس تفسير القرآن بالمأثور في تفسير القرآن بالقرآن ثم صحيح السنة ثم أقوال الصحابة والتابعين ثم عمومات الدين، وفروع اللغة العربية وأقوال العلماء المعروفين دون غلو أو شطط.

قيمة مصادر الثعالبي العلمية:

وهو الاتجاه الثاني في القيمة العلمية لتفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ويعد الثعالبي مثالاً يحتذى ونموذجًا يقتدى به في مصادره التي استقى منها تفسيره فقد ذكر أنها مائة مصدر أو يزيد، وهذه المصادر في جملتها تميل إلى الأخذ عن المغاربة وأصحاب المذهب المالكي بطبيعة الحال، لأنه مالكي المذهب، وكذلك لقرب الجزائر الجغرافي من المغرب وتونس حيث إنهم وحدة واحدة يتأثر بعضها ببعض، وهذا لا يمنع الثعالبي من الأخذ عن المشارقة وغيرهم فقد رحل إلى مصر ومكة كما مر في

---

(١) الشافعي: الرسالة ٤٦.

- ابن جرير الطبري: جامع البيان ١٢/١.

- صديق خان: فتح البيان ١٧/١.

(٢) الطبعة التي اعتمدت عليها في هذا البحث هي طبعة دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٦م، من ثلاثة أجزاء بتحقيق أبي محمد الغماري الإدريسي الحسيني، وللجواهر طبعة أخرى هي طبعة إحياء التراث العربي ببيروت ١٩٩٧م، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ود/ عبد الفتاح أبو سنة في خمسة أجزاء وطبعة ثالثة هي طبعة بيروت بدون تاريخ ولا تحقيق، في أربعة أجزاء مع خط سيىء ولم يتيسر لي الحصول على طبعة دار إحياء التراث العربي.

الفصل الأول، وهذه المصادر تحتاج إلى بحث منفرد يعرض لها مصدرًا مصدرًا مع بيان قيمتها التاريخية والعلمية وما أضافته إلى تفسير الثعالبي وإلى الثعالبي نفسه، ولكنني أقتصر على المهم منها حتى لا يطول البحث، وهي أنواع: وأول هذه الأنواع التي عول عليها وأخذ منها كتب التفسير مثل تفسير ابن عطية" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"[١] وقد اختصر منه الثعالبي ونقل عنه كثيرًا قال الثعالبي (فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزودته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة، وحسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف)[٢].

وأما عن طريقة النقل من هذه المصادر وأصحابها، فلا يفوته بيان ذلك وتوضيحه بقوله (وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود من المحققين، وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئًا، فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظة صاحبه عولت ولم أنقل شيئًا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه) [٣].

والثعالبي لا يكتفي بهذا البيان بل يزيد عليه طريقة بديعة في التثبيت من المصادر التي رجع إليها حتى يطمئن من يريد الرجوع إليها أيضًا، فيقول: (ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الأمهات المنقول منها

---

(١) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم الغرناطي الحافظ القاضي ولد ٤٩١ هـ وتوفى ٥٤٦هـ وشهرته بتفسيره المحرر الوجيز، بغية الوعاة ٧٣/٢، الداودي: طبقات المفسرين ٢٦٥/١.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٩/١.

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ٢٠/١.

فليصلحه منها، ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر)[1] وهكذا طريقة الثعالبي في تفسيره وفي مراجعه صاحب طريقة منفردة في الرجوع إلى المصادر والتثبت منها، وتصحيح ما يشكل فيها.

والمصدر الثاني: الذي نقل عنه الثعالبي هو تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري[2] وهو عمدة المفسرين وعليه اعتماد كل من كتب التفسير قديمًا وحديثًا، ولكن الثعالبي رجع إليه مختصرًا بتأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي.

والمصدر الثالث الذي نقل عنه الثعالبي هو البحر المحيط تفسير أبي حيان الأندلسي.[3] باختصار الصفاقسي[4].

والمصدر الرابع: وهو كتاب أحكام القرآن لابن العربي[5] صاحب المؤلفات الكثيرة والمتنوعة ومنها العواصم من القواصم.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ٣١٠هـ صاحب التأريخ والتفسير وغيرها من المصادر، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤.

(٣) أبو حيان: محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي المتوفي ٧٤٥هـ، الدرر الكامنة ٣٠٢/٤.

(٤) الصفاقسي: محمد بن ابراهيم الصفاقسي ٧٤٢هـ، راجع كتابه: - المجيد من إعراب القرآن المجيد ٢٦/١ وفيه تعريف بصاحبه وتلاميذه، الدرر الكامنة ٥٥/١.

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المتوفي ٥٤٣هـ - ابن فرحون: الديباج المذهب ٢٨١، ومحمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية ٢٢٧.

والمصدر الخامس: هو تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي[١] وتفسير الثعالبي معين خصب لقضايا المذهب المالكي، ودراسته من خلال كتب المالكية المتنوعة في تفسيره الجواهر الحسان من تفسير القرآن.

والمصدر السادس: هو تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للفخر الرازي[٢] وقد نقل الثعالبي عنه كثيرًا.

والنوع الثاني: وهو كتب السنة وعلى رأسها البخاري ومسلم ثم كتب السنن والمسانيد والمستدركات، فتفسير الجواهر الحسان يعتمد على السنة كثيرًا في تفسير القرآن الكريم.

والنوع الثالث: هو كتب متنوعة مثل التذكرة للقرطبي[٣] ومصابيح البغوي[٤].

والنوع الرابع: كتب اللغة وغريبها وإعرابها مثل إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري[٥].

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي ت ٦٧١هـ ابن فرحون: الديباج المذهب ٢٧١، ومحمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ١٩٧.

(٢) محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت٦٠٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢١١/٤٣، السبكي: طبقات الشافعية ٨١/٨.

(٣) صاحب التفسير مرت ترجمته.

(٤) الحسين بن مسعود بن محمد محيي السنة أبو محمد البغوي الفراء ت ٥١٦، تذكرة الحفاظ ١٢٥٨/٤.

(٥) أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ٦١٦هـ وكتابه التبيان في إعراب القرآن، راجع: السيوطي: بغية الوعاة ٣٨/٢.

والنوع الخامس: كتب الرقائق والمواعظ مثل إحياء علوم الدين للغزالي[1].

النوع السادس: كتب التصوف، وقد نقل الثعالبي عنها كثيرًا، وذكرها وأصحابها وأقوالهم مثل كتاب العاقبة لابن الخراط الصوفي[2]، والحقيقة أن نقل الثعالبي عن الصوفية يحتاج إلى بحث منفصل، فالثعالبي من خلال تفسيره قد نقل عن الصوفية، وأخذ عن كتبهم في تفسيره دون التفريق بين ما يجب قبوله، وتجوز روايته وبين ما يرفض روايته لخروجه عن صحيح الدين، وأظن أن هذا النقل عن المتصوفة وكتبهم دون نقد أو تمحيص وراء عدم اشتهار تفسير الثعالبي كغيره ممن عاصره وجاء بعده أو قبله بقليل.

النوع السابع والأخير: دواوين الشعر العربي المختلفة، فالثعالبي صاحب ذوق في اختيار عيون الشعر العربي والاستشهاد بها على ما يريده من معاني ففي قوله تعالى ﴿....أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ... ﴾[3] قال الثعالبي: والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبه بها وذلك أن المتعمد لفعل الشيء الذي قد نهي عنه يسمى معصيته تلك جهالة ومن

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ.

(٢) أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي الأزدي المعروف بابن الخراط ت: ٥٨١هـ، وهو من شيوخ ابن عربي الصوفي المتوفي ٦٣٨هـ وهو منهم في فكره وآرائه من خلال الفتوحات المكية وفصوص الحكم، ونقل الثعالبي عن ابن الخراط في كتابه العاقبة كثيراً، المقري: نفح الطيب ١٦٤/٢.

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٨٤/١، سورة الأنعام: الآية ٥٤ والبيت في معلقة عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي.

الجهالة التي لا تضاد العلم قوله – صلى الله عليه وسلم – في استعاذته "أو أجهل أو يُجهل عليّ"، ومنها قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ثم يختم الثعالبي مقدمته لتفسيره بقوله (وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)[1] وهذه حقيقة وجدتها في هذا التفسير القيم، ويجدها كل من يقرأ هذا التفسير النفيس أمام عينيه في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب.

- **الفصل الثالث: منهج الثعالبي في الجواهر الحسان في تفسير القرآن:**

سبق بيان طريقة الثعالبي في تفسيره والتي يعتمد فيها على تفسير القرآن بالمأثور وهي أفضل أنواع التفسير الذي يعتد به، بعيدًا عن الرأي المذموم أو التأويل الممقوت، وهذا المنهج الأثري في تفسير القرآن تتضح ملامحه في نماذج وأمثلة من تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تكشف هذه النماذج عن مقدرة عالية لدى المفسر في استخدام المصادر التي يقوم عليها التفسير بالمأثور من القرآن نفسه والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ومن نماذج تفسير القرآن بالقرآن في الجواهر الحسان:

١- في سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...﴾[2] قال الثعالبي[3]: واختلف في المشار إليهم بأنه أنعم عليهم سبحانه وتعالى

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٢٠/١

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٢/١.

فقول جمهور من المفسرين، وفي مقدمتهم ابن عباس – رضي الله عنه – أنه سبحانه أراد صراط النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين، وأخذوا ذلك من قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1] والذين أنعم الله عليهم في سورة الفاتحة مجملة، قد وضحتها ما في سورة النساء، وبينت عددهم من خلال حمل المجمل على المبين فيظهر المعنى جليًا، ويستقيم تفسير الآية برد القرآن بعضه على بعض، وهذا البيان من قبيل المبين المنفصل عند الأصوليين[2].

٢ – قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3] قال الثعالبي[4]: والمعنى فقال الكلمات فتاب عليه الله تعالى عند ذلك، واختلف المتأولون في الكلمات فقال قوم: هي قوله تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5] وقالت طائفة: إن آدم رأى مكتوبًا على ساق العرش: محمد رسول الله، فتشفع به فهي الكلمات، وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب فقال: يقول ما قاله أبواه ﴿...رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ وما قاله موسى عليه السلام (.... قَالَ رَبِّ إِنِّي

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) السيوطي: معترك الأقران ٢٢٠/١، السيوطي: الإتقان ١٩/٢، الشوكاني: فتح القدير ٢٤/١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٧.

(٤) الثعالبي: الجواهر الحسان ٦٧/١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١] وما قاله يونس عليه السلام ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٢]، فالكلمات تحتمل أكثر من قول إلا أن الجميع يدخل تحت قوله تعالى المبين في سورة الأعراف ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا ...﴾ وقد وضحت الآية ما أجمل من [٣] الكلمات في سورة البقرة، وهذا البيان المنفصل في سورة أخرى دل على أن ما سوى هذه الكلمات داخل فيها بالأولى، أي من قال بالاستغفار أو التسبيح والتحميد والتهليل فقد قال آدم الجميع تائبًا إلى الله تعالى معترفًا بذنبه، قال الثعالبي "وإنما خص الله تبارك وتعالى آدم بالذكر في التلقي والتوبة وحواء مشاركة له في ذلك بإجماع، لأنه المخاطب في أول القصة، فكملت القصة بذكره وحده، ولأن المرأة حرمة مستورة أيضًا، فأراد الله تعالى لها الستر ولم يذكرها في المعصية.[٤]

٣- في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ .....﴾ [٥] قال الثعالبي[٦] كتب: معناها فرض وأثبت، وصورة فرض القصاص هو أن القائل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله، وأن الولي فرض

(١) سورة القصص: الآية ١٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

(٣) السيوطي: الإتقان ١٩/٢، الطبري: جامع البيان ٥٤٦/١.

(٤) الثعالبي: الجواهر الحسان ٦٨/١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٦) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٣٨/١.

عليه الوقوف عند قتل وليه، وترك التعدي على غيره، فإن وقع الرضا بدون القصاص من دية أو عفو فذلك مباح، والآية معلمة أن القصاص هو الغاية عند التشاح، والقصاص مأخوذ من قص الأثر، فكأن القاتل سلك طريقًا من القتل، فقص أثره فيها، وهذه الآية محكمة ومفسرة ومبينة لآية سورة المائدة المجملة في قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ....﴾[1] وقد استدل بآية البقرة الأولى المفسرة الجمهور على أن الحر لا يقتل بالعبد، وأخذ أبو حنيفة وأصحابه والكوفيون بمجمل آية المائدة على أن النفس تصدق على المسلم والكافر والعبد والحر، ويفهم هذا من قول النبي – صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تتكافأ دماؤهم»[2] ولذلك فرأي الجمهور هو الأولى[3] حملاً للمجمل على المبين حيث لا تعارض بين الآيتين، وأما المسلم فلا يقتل بالكافر استدلالاً من السنة النبوية التي ترد حكم الكوفيين ومن وافقهم في حديث علي بن أبي طالب "أن لا يقتل مسلم بكافر"[4] فالحديث مبين ومفسر لما في الآيتين ألا يقتل الحر بالعبد ولا المسلم بالكافر، فالجمهور يرى قتل الرجل بالمرأة ولا مانع من قتل الحر بالعبد والعبد بالحر باعتبار المفهوم من الآية.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند ١٨/١. عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) الشوكاني: نيل الأوطار ١٢/٧، الشوكاني: فتح القدير ١٩٨/١، الشنقيطي: أضواء البيان ٢٩٨/١.

(٤) أحمد بن حنبل: المسند ٧٩/١، ط بيروت.

٤- في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ...﴾[١] قال الثعالبي: نكح أصله في الجماع، ويستعمل في العقد تجوزًا، قالت طائفة: المشركات هنا من يشرك مع الله إله آخر، وقال قتادة وابن جبير: الآية عامة في كل كافرة وخصصتها آية المائدة، ولم يتناول العموم قط الكتابيات، وقالت طائفة: تناولهن العموم ثم نسخت آية المائدة بعض العموم في الكتابيات، وهو مذهب مالك – رحمه الله تعالى- في أن الآية في البقرة منسوخة بما في المائدة وهو الناسخ، ولكن الثعالبي يعد آية البقرة عامة في المشركات فهن كافرات إلا أن سورة المائدة في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾[٢] قد استثنت الكتابيات، والبقرة من أول ما نزل في المدينة والمائدة من آخر ما نزل فيها، وعلى ذلك فالآية لا نسخ فيها على رأي المفسر، وهي ناسخة عند مالك لآية البقرة، فزواج الكافرات من أهل الكتاب مباح، ويحرم زواج المشركات، وإن كانت الآية – حتى يؤمن – من المخصص المتصل في نفس الآية، وهو تخصيص بالغاية، وهذا لا يمنع من أن تكون الآية مخصصة بما في سورة المائدة بتخصيص منفصل في آية أخرى[٣] لإفادة الحكم الذي استقر عليه التشريع والتفسير.

٥- في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٧٠/١، سورة البقرة، الآية ٢٢١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥.

(٣) الشوكاني: فتح القدير ٢٢٤/١، هبة الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ ٨٥، الرازي: المحصول ١١٨/٣/١

وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1] قال الثعالبي: هذا خبر من الله عز وجل، ويلبسوا أي يخالطوا، والظلم في هذا الموضع الشرك، تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة، والشرك المراد في الآية جاء ذكره في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [2] فالظلم في سورة الأنعام عام قد خصصته آية سورة لقمان بالشرك[3]، وهذا من حمل العام على الخاص في الآيات في تفسير القرآن بالقرآن الذي تبعه الثعالبي في منهجه في تفسير القرآن بالمأثور.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ...﴾[4] قال الثعالبي: والدم في الآية مطلق في القليل والكثير والمسفوح وغيره من أنواع الدم، فجاءت سورة الأنعام وقيدت هذا المطلق في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ...﴾[5] فما خالط اللحم عند الطبخ فغير محرم بإجماع أخذًا من حمل المطلق على المقيد في تفسير الآية.[6]

٧- قوله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾[7] قال الثعالبي:

---

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٩٦/١ سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٢) لقمان: الآية ١٣ .

(٣) الشاطبي: الموافقات ١٢/٤.

(٤) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٣٤/١، سورة البقرة الآية ١٧٣

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٤٥

(٦) السيوطي: معترك الأقران ٢١٢/١.

(٧) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٥٠/١، سورة المائدة: الآية ٨٩.

اختلف في قوله (مِنْ أَوْسَطِ) فرأى مالك وجماعة معه هذا الوسط في القدر ورأى جماعة في الصنف، والوجه أن يعم لفظ الوسط القدر والصنف، إلا أن الوسط في الطعام والكسوة أيضًا لأن الكسوة في الآية مطلقة فوجب تقييدها بالوسط أيضًا، كذلك تحرير رقبة أي مؤمنة، قال مالك وجماعة: لأن هذا المطلق راجع إلى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطأ في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ...﴾[1] فظاهر آية سورة المائدة أن أي رقبة تجزئ عن صاحبها في الكفارة، والثعالبي يرى أن يحمل المطلق على المقيد قياسًا على كفارة القتل كما رجح ذلك الشافعية والمالكية وردته الحنفية[2] لأن ذلك تقييد للفظ المطلق، والأصل بقاؤه على إطلاقه[3] وهذه الآية من الصورة الثالثة في اختلاف السبب واتحاد الحكم بالنسبة للمطلق والمقيد، وهذا خلاف رأي أبي حنيفة – رضي الله عنه.

تفسير القرآن بأسباب النزول عند الثعالبي: –

العلم بالسبب يعلم بالعلم بالمسبب، وبخاصة الآيات التي لها سبب نزول معروف من حادثة مشهورة أو سؤال احتاج إلى إجابة أو بيان من الرسول – صلى الله عليه وسلم– فنزل القرآن الكريم للجميع شاهدًا على الوقائع، ومجيبًا على التساؤلات، والأخذ بأسباب النزول في تفسير القرآن أساس من أسس

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٢) الآمدي: الإحكام ٢/٣، الجويني: البرهان في أصول الفقه ٤٣١/١، أحمد بن عبد الغني: المسودة في أصول الفقه ١٣٠ .

(٣) محمد بن أحمد المالكي: مفتاح الوصول إلى علم الأصول ٩٣

التفسير بالرواية الذي لا اجتهاد معه ولا قياس، بل هو نقل عن النبي وصحابته، في حدود الضوابط التي حددها العلماء لسبب النزول[1] والثعالبي قد اهتم بأسباب النزول في تفسيره ووجد فيها ملاذًا لتفسير الآيات التي نعرض لبعض نماذج منها تبين منهجه الأثري وطريقته السديدة في التفسير.

١- في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾[2] قال الثعالبي: لفظة: أحل: تقتضي أنه كان محرمًا قبل ذلك. والرفث: كناية عن الجماع، لأن الله كريم يكني، والرفث في غير هذا الموضع ما فحش من القول، قال أبو إسحاق الثعلبي: الرفث: ما يأتيه الرجل مع المرأة من قبلة ولمس، وسبب نزول هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره أن جماعة من المسلمين اختانوا أنفسهم وأصابوا النساء بعد النوم أو بعد صلاة العشاء على الخلاف[3] في ذلك، منهم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جاء إلى إمرأته فأرادها فقالت له قد نمت، فظن أنها تعتل بذلك، فوقع بها ثم تحقق أنها قد كانت نامت، وكان الوطء بعد نوم أحدهما ممنوعًا، فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فنزل صدر الآية. وروى أن صرمة بن قيس الصحابي[4] نام قبل الأكل فبقى دون الأكل كذلك حتى غشي عليه في نهاره المقبل فنزلت فيه "وكلوا واشربوا" قال الثعالبي:

---

(١) – ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٧.
– الزركشي: البرهان ١٣٣/١.
– الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ٢٦.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٤٧/١ سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٣) السيوطي: لباب النقول ٣٤ وقصة عمر أخرجها ابن جرير الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

(٤) الشوكاني: فتح القدير ٢١٠/١ وقصة صرمة بن قيس الأنصاري أخرجها البخاري وأبو داود والنسائي عن البراء بن عازب في سبب نزول الآية كلها وهناك أسباب أخرى في الآية نفسها.

وأما اللباس في قوله تعالى – هن لباس لكم – فأصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة كذلك.

٢- من سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١] قالّ الثعالبي: هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري [٢] وقال الحسن وفي معتب بن قشير معه واختصار القصة من الطبري وغيره[٣]، أن ثعلبة جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعل لي مالاً فإني لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه، وفعلت فيه الخير، فرادّه النبي وقال: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فعاود ثعلبة فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ألا تريد أن تكون مثل رسول الله، لو دعوت الله أن يسير الجبال ذهبًا معي لسارت» فأعاد عليه حتى دعا له النبي بذلك فاتخذ غنمًا فنمت، كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة، فتنحى عنها وكثرت غنمه حتى كان لا يصلي إلا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيدًا فترك الصلاة، ونجم نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة، فبعث النبي في أخذ زكاة غنمه فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال: هذه أخت الجزية، ثم قال لهم دعوني حتى أرى رأيي، فلما أتوا رسول الله وأخبروه قال يا ويح ثعلبة ثلاثًا، ونزلت الآية فيه، فحضر القصة قريب لثعلبة فخرج إليه، فقال: أدرك أمرك فقد نزل فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فرغب أن يؤدي

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٦٣/٢ سورة التوبة: الآية ٧٥.

(٢) السيوطي: لباب النقول ١٢١.

(٣) الطبري: جامع البيان ١٩٠/١٠.

زكاته، فأعرض عنه رسول الله، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك، فبقي كذلك حتى توفى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم ورد على أبي بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب إلى كل واحد منهم أن يأخذ منه الزكاة، فكلهم رد ذلك وأباه اقتداءً بالنبي، فبقي ثعلبة كذلك حتى هلك في عهد عثمان رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.[1]

٣- من سورة القلم في قوله تعالى ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[2] قال الثعالبي: الهماز: الذي يقع في الناس بلسانه، والنميم مصدر كالنميمة، وهو نقل ما يسمع مما يسوء، ويحرش النفوس، وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه

---

(١) الشوكاني: فتح القدير ٢/٣٨٨، والقصة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عند السيوطي بسند ضعيف، لباب النقول ١٢١، وعن ابن عباس من طريق العوفي بطريق آخر قال المحقق أحمد شاكر عن هذه الرواية التي رواها علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي أنه روى نسخة كبيرة وأحاديثه هذه ضعاف كلها، وأما ثعلبة بن حاطب الأنصاري ففي ترجمته خلط كثير، هو رجل واحد، أم رجلان، أولهما هو الذي آخى رسول الله بينه وبين معتب بن الحمراء، والذي شهد بدراً وأحداً، والآخر هو صاحب هذه القصة، ويقال إن الأول قتل يوم أحد، والخبر ضعيف كل الضعف ليس له شاهد من غيره وفي بعض رواته ضعف شديد راجع: ١- الطبري ١٤/٣٧٣، ٢- الإصابة ١/١٩٨ ترجمة ٩٢٨ ٣- البغوي: معجم الصحابة ١/٤١٨ ترجمة رقم ٢٦٧، ولا يصح أن يكون هذا الخبر في بدري من الصحابة، وقد استشهد ثعلبة بن حاطب بأحد، فالظاهر أنه غيره من الأنصار. ٤- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٠٤٩ ط الريان وما روي عن ثعلبة بن حاطب غير صحيح، وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجل من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس، ومُعتب بن قشير، وهذا أشبه بنزول الآية فيهم.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ٣/٣٦٤، سورة القلم، الآية ١١.

الأوصاف هي أجناس لم يرد بها رجل بعينه، وقالت طائفة: بل نزلت في معين واختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو الوليد بن المغيرة، وقيل هو الأخنس بن شريق، ويؤيد ذلك أنه كانت له زنمة أي حلقة كزنمة الشاة، وكان ملصقًا في ثقيف أيضًا من قريش، وقيل هو أبو جهل وقيل هو الأسود بن عبد يغوث، وظاهر اللفظ عموم من اتصف بهذه الصفات والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لاسيما لولاة الأمور، فالثعالبي لم يحدد من نزلت فيه الآية وإنما أخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما ذهب إلى ذلك الجمهور في أن العبرة بعموم اللفظ في الآية لا بخصوص سببها، وهذا المعنى يشمل الوليد بن المغيرة وغيره ممن تنطبق عليهم أوصاف الآية، خلافًا لمن خصص سبب النزول بصاحبه وألا يتعداه إلى غيره إلا بدليل[1]، وهكذا سار الثعالبي في تفسيره ذاكرًا سبب النزول، وما يتعلق به من عموم أو خصوص.

تفسير القرآن بالسنة النبوية عند الثعالبي

تعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي مرحلة تالية للتفسير في منهج التفسير بالمأثور الذي يعتمد كليةً على القرآن الكريم في تفسير ذات النص، ثم ينتقل إلى السنة طالبًا البيان، راغبًا في التوضيح، فالسنة ذكر يشفع، وبيان ينفع، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] .

لذلك قال الشافعي "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه – جل ثناؤه – من وجوه، فمنها ما أحكم فرضه بكتابه وبين

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ١٤.

(٢) سورة النحل آية ٤٤ .

كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه، ومنها ما سن رسول الله مما ليس لله سبحانه فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاء إلى حكمه. فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل".(١)

فتفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيانه للقرآن ما هو إلا وحي، ولكنه بلفظ الرسول الذي علمه ربه البيان، وأعطاه المزية بذلك على البشرية إلى يوم القيامة، وقبول هذا البيان من الرسول بما فيه من أوامر ونواه هو قبول فروض الله تعالى مراعاة للتيسير على البشر في كون معلمهم منهم جنسًا، ولغةً، ولكنه يوحي إليه من ربه ما شاء الله لما يشاء الله تعالى صلاحًا للعباد في حياتهم، وآخرتهم ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢) فأسند الله تعالى البيان إلى الرسول حين الاختلاف، وقد أكد على حقيقة النزول من عنده هو دون غيره، منعًا للشك في الإنزال، وصونًا للقرآن عن التقليد والتشبيه، قال الشافعي(٣) "وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله" فإن لم يجد المفسر لكتاب الله تعالى بغيته في نفس القرآن فليرجع إلى السنة، فإنها شارحة له وموضحة لما أبهم فيه، أو غمض معناه، روى المقدام بن معد يكرب عن رسول الله قال "ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه ....."(٤) ومثله

---

(١) الشافعي: الرسالة ٢٢ تحقيق أحمد شاكر.

(٢) سورة النحل: آية ٦٤.

(٣) الشافعي: الرسالة ٧٩.

- صديق خان: حصول المأمول ٤٢.

(٤) أبو داود السجستاني: السنن ٤/٢٠٠ك لزوم السنة.

هو السنة النبوية سواء أكانت فعلية أم قولية أم تقريرية، ويدخل فيها الحديث النبوي على رأي من جعل السنة عامًا والحديث خاصًا، أو هما مترادفان فلا خلاف في جعل السنة المصدر الثاني في التشريع والتفسير، وهذه السنة مما يراد بها التشريع، فقد روى الأوزاعي[1] عن حسان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله ويحضره جبريل – عليه السلام – بالسنة التي تفسر ذلك، وقال عن مكحول أيضًا القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن وهذا ثابت عن أحمد بن حنبل أن السنة تفسر القرآن وتبينه، وهذه دلالة واضحة لارتباط القرآن الكريم بالسنة النبوية، روى عن عمران[2] بن حصين أنه سمع من يقول نأخذ ما في القرآن من حلال وحرام ولا غير فقال له: إنك امرؤ أحمق: أتجدُ في كتاب الله تعالى الظهر أربعًا لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله تعالى مفسرًا إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك.

وهذا الموقف يتكرر الآن بين المتشككين أو الماديين أو المسلمين الذين لا يحسنون فهم دينهم، وقد فهم هذا الفهم السليم عمران بن حصين من حديث الرسول "لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"[3]، وقد فسر

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١.

(٢) الشاطبي: الموافقات ٢٦/٤.

(٣) الشافعي: الرسالة ٨٩ وقال المحقق أحمد شاكر عن الحديث: صحيح رواه أحمد في المسند من وجهين مختلفين ١٣٠/٤ – ١٣١ – ١٣٢، ورواه الدارمي ١٤٤/١، وأبو داود ٣٢٨/٤ – ٣٢٩، والترمذي ١١١/٢ وقال الترمذي عن ابي رافع – مولى الرسول– مسنداً، وعن عبيد الله ابن ابي رافع عن أبيه، حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح، ورواه ابن ماجة ٥/١ – ٦ ط الحلبي تحقيق محمد فؤاد وعبد الباقي.

الرسول كثيرًا من القرآن إلا أن ابن تيمية[1] ومن وافقه يرون أن الرسول بين القرآن كله لفظًا ومعنى، والآية تتناول هذا وهذا – سورة النحل[2] – وقال آخرون بخلاف هذا الرأي استنادًا إلى حديث نبوي عن عائشة – رضي الله عنها– قالت "ما كان رسول الله يفسر شيئًا من القرآن إلا آيات بعدد علمه إياهن جبريل"[3] قال ابن جرير "هذا مع ما في الخبر الذي رُوي عن عائشة من العلة في إسناده، التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين، لأن روايه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري"[4] فلا يفهم من الحديث أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آياته واليسير من حروفه، وإلا كان إنزال الذكر على الرسول ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم، وهذا مناقض لمفهوم الآية من إنزال الذكر أي السنة ليبين الرسول بها للناس القرآن، ويحقق بذلك صريح البيان، وبيان الإجمال، وتفصيل العمومات، وإيضاح الدلالات، ومعرفة الإبهامات، ونخلص من هذا إلى أن الرسول بين للناس

---

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٢ ط بيروت.

(٢) سورة النحل آية ٦٤.

(٣) قال السيوطي في التحبير في علم التفسير ص ٣٢٣ وأما حديث عائشة فهو حديث منكر وإن أوله الطبري، وذلك لأن رواية جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي لا يتابع في حديثه، وقال ابن كثير في تفسيره ج١/٦ والبغوي في تفسيره ج١/١٥ هو منكر الحديث ولا يتابع فيه، راجع: الهيثمي / مجمع الزوائد ٢٠٣/٦، وترجم له أحمد محمد شاكر في تحقيقه على الطبري ج١ – ٨٤.

(٤) ابن جرير الطبري: جامع البيان ٨٩/١ .

–صديق خان: فتح البيان ١٤/١.

–د. محمد حسين الذهبي ٥/١.

–د. الشحات السيد زغلول: أبي بن كعب ٨٦.

والصحابة الكثير من المعاني القرآنية، والألفاظ الغريبة، التي سألوا عنها وأرادوا معرفتها، وأما ما عرفوه بالسليقة العربية، أو فهموه بالممارسة الإيمانية، فلم يسألوا عنه إلا إذا دعت الحاجة إلى سؤال أو استفسار بخاصة ما غمض عنهم أو صعب عليهم فهمه".[١] .

نماذج على تفسير القرآن بالسنة في تفسير الثعالبي: –

١– قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] قال الثعالبي: ذهب ابن مسعود وغيره إلى أن السبع المثاني هنا هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة. وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى أن السبع هنا آيات الفاتحة وهو نص الحديث عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فاتحة الكتاب هي السبع المثاني". وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه "أم الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم"[٣] والثعالبي يرى أن "السبع المثاني هي سورة الفاتحة" وهو الصحيح وبذلك تكون السنة النبوية مبينة[٤] لمجمل القرآن الكريم ومفسرة لما في سورة الحجر وخاصة أنهما مكيتان.

٢– قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥] قال المفسر: المسروق مال أو غيره، فشرط المال أن

(١) راجع ما كتبه د. الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٥ عن أدلة الفريقين.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ٢١٧/٢، سورة الحجر: الآية ٧٧.

(٣) الترمذي: صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي ٢/١١ ك فضائل القرآن . حديث صحيح لا غبار عليه.

(٤) الشاطبي: الموافقات ٥٧/٤.

(٥) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٢٩/١، سورة المائدة، الآية ٣٨.

يكون نصابًا، بعد خروجه مملوكًا لغير السارق ملكًا تامًا لا شبهة فيه محرزًا، والنصاب ربع دينار أو ما يعادل ثلاثة دراهم أو يساويها في وقتنا هذا، والآية عامة في المسروق أي المقدار، وقد خصصت السنة هذا العموم بما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- «يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا»[1] فلا قطع فيما دون ربع دينار أو ثلاثة دراهم آنذاك، [2] وهذا يدل على أن القليل الذي لا قيمة له خارج عن هذا القطع، فالسنة هنا مفسرة للقرآن الكريم.

٣- قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ...﴾[3] قال الثعالبي: حكم حرم الله به سبعًا من النسب، وستًا من بين رضاع وصهر، وألحقت السنة المتواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها، وقد مضى عليه الإجماع، ولكن حكم الرضاع في الآية يصدق على مسمى الرضاع لغة وشرعًا، وهو في الآية مطلق في سن الرضاع ومقداره، وجاءت السنة مقيدة لهذا الرضاع، فأما السنة فبالحولين الأولين اتفاقًا إلا ما كان من خلاف في إرضاع الكبير الذي يحرم به عند أهل الظاهر، وعائشة رضي الله عنه حيث قالت: «دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعندي رجل فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه، فقلت يا رسول الله: إنه أخي من الرضاعة

---

(١) الشوكاني: نيل الأوطار ١٢٤/٧ والحديث رواه الجماعة إلا ابن ماجة.

(٢) د. علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية ١٤، والدينار ٤,٢٥ جراماً والدرهم ٢,٩٧٥ جراماً عند الجمهور.

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ٣٣٩/١، سورة النساء: الآية ٢٣.

فقال: «انظرن من إخوانكن من الرضاعة، فإن الرضاعة من المجاعة» [١] أي من لا يأكل، فقيدت السنة مطلق السن في الحولين عند المجاعة، وأما المقدار فتقيد أيضًا بما روته عائشة رضي الله عنها – عن الرسول – صلى الله عليه وسلم، قال (لا تحرم المصة والمصتان)[٢] وإنما الذي يحرم به خمس رضعات مشبعات، وقالت عائشة: كان فيما مضى وأنزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما يقرأ من القرآن [٣]، فمن أخذ بظاهر القرآن ومطلقه يحرم الرضاع بأقله من المصة أو المصتين، ومن أخذ بتقييد السنة للقرآن قال: لا تحرم إلا بخمس رضعات بالنسبة لتحريم الإخوة من الرضاعة وهكذا يعتمد الثعالبي على ما صح من الأحاديث وغالبًا ما يسندها المفسر إلى أصحابها ومصدرها وهذه النماذج تبين منهجه في تفسيره ولولا خوف الإطالة لذكرت غيرها كثيرًا.

تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين عند الثعالبي

الصحابي من رأى النبي – صلى الله عليه وسلم– مؤمنًا بالله تعالى ومصدقًا برسول الله، وإن لم تطل صحبته له، وكذلك إذا لم يرو عن الرسول شيئًا، وقد نص على أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة [٤] البخاري

(١) الشوكاني: نيل الأوطار ٣١٦/٦ . والحديث عند الجماعة إلا الترمذي ورواياته موقوفة في الحولين إلا رواية عائشة رضي الله عنها فهي مرفوعة.
– ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد ٤١/٢.

(٢) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي ٢٨٠/٩ ك الرضاع عن عائشة مرفوعاً.

(٣) الشوكاني: نيل الأوطار ٣١٠/٦

(٤) صحيح البخاري بشرح ابن حجر ١/٧ ك فضائل أصحاب النبي – ابن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ٥٣ تحقيق أحمد شاكر صاحب الباعث

وأبو زرعة وكثير فمن صنف في الرجال والصحابة كابن عبد البر في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة حيث يقول "أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقى النبي مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى"(١).

ثم يزيد ابن حجر في شرحه على البخاري قائلاً والذي ذكره البخاري الراجح حتى ولو رآه رؤية على بعد"(٢)

وهذا الرأي للبخاري ومن وافقه اتفق عليه العلماء سلفًا وخلفًا إلا أن سعيد بن المسيب فيما روى عنه قال: لابد من أن يصحبه سنة أو سنتين، أو يغزو معه غزوة أو غزوتين(٣)، ولما سئل أنس بن مالك – رضي الله عنه – هل بقى من أصحاب النبي أحد غيرك ؟ قال: ناس رأوه، فأما من صحبه فلا(٤)، وهذا يدل على نفي الصحبة الخاصة عمن رأوه، أما الصحبة العامة، فهي ثابتة لكل من رآه ولم يصحبه، فمجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة على رأي الجمهور، وهذا الفارق بينٌ أن الصحبة تكون عامة وخاصة، فمن رأى الرسول ولو ساعة أو على بعد فهو صحابي(٥) بالمعنى العام أما

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤، ٥، ٧.

(٢) صحيح البخاري بشرح ابن حجر ١/٧ ك فضائل أصحاب النبي.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) ابن كثير: الباعث الحثيث ٥٣، وقال ابن الصلاح اسناده جيد حدث به مسلم في حضرة أبي زرعة.

(٥) البغدادي: الكفاية في علم الرواية ١/٥١.

الصحبة الخاصة فتشمل من رأي وروى أو شارك في غزواته أو جلس معه أو اختص به اختصاص المصحوب وطالت مدة صحبته[١] له، وتعريف ابن حجر السابق للصحابي هو المختار عند الجمهور، ومبنى على الأصح عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل وغيرهم[٢].

وعدالة الصحابي لا تحتاج إلى سؤال عنها، وإنما تجب فيمن دونهم، فالعدالة ثابتة معلومة في القرآن والسنة والإجماع، ولذلك قال الشاطبي في الموافقات "جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – حجة ودليلاً، ففي قوله «كنتم خير أمة أخرجت للناس» آل عمران ١١٠، وقوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا» البقرة ١٤٣ ففي الآية الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الآية الثانية إثبات العدالة المطلقة وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى"[٣]، فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها[٤]، ولكن حكم قول الصحابي فيه خلاف، فقد قال الحاكم النيسابوري في مستدركه ؛ إن قول الصحابي مرفوع إلى النبي ومسند إليه، لأنه من باب

---

(١) ابن حزم: الإحكام ٦٦٣/٥.

(٢) ابن كثير: الباعث الحثيث ١٥٥.

(٣) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة ٧٧/٤.

– البغدادي: الكفاية ٤٦/١.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٢.

الرواية لا الدراية والرأي"[١]، وهذا الرأي عارضه فيه ابن الصلاح[٢] في مقدمته، وكثير من المحققين المتأخرين، وقالوا إن ذلك مخصص بما فيه سبب نزول أو نحو ذلك مما لا دخل للرأي فيه، وأما ما يتعلق باللغة والأحكام الاجتهادية فليس من قبيل المرفوع، وقد صرح الحاكم نفسه بذلك في كتابه "علوم الحديث". وقال «إن أقوال الصحابة من الموقوفات»[٣]، فقد خصص في علوم الحديث ما عممه في المستدرك، وما أطلقه في المستدرك قيده في علوم الحديث، فاعتمد الناس ما قيد وتركوا ما أطلق[٤]، قال الزركسي: اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد، والأول إما أنه يرد عن النبي أو الصحابة أو رءوس التابعين، والأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه "[٥] فكلام الزركشي فيه تفسيران: الأول الرواية والنقل، والثاني الدراية والعقل، والأول مرفوع مسند، والثاني ما عدا ذلك فهو موقوف على الصحابي، ومن اجتهد فيه، والصحابي يخطئ ويصيب، فهم في اجتهادهم كسائر المجتهدين[٦]، ولكن الموقوف عن الصحابي وإن كان مجتهدًا

---

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك ٢/٢٨٥ ك التفسير.

(٢) ابن الصلاح: المقدمة ١٢٨ تحقيق د. عائشة عبد الرحمن.

(٣) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ٢٠.

(٤) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٩٥.
د. محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات ٧٩.

(٥) الزركشي: البرهان ٢/٧٢.

(٦) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٩٥.

فيه فهم أدرى بما قالوا، وأحرص على السماع من النبي – صلى الله عليه وسلم– وإن فسروا برأيهم فهو أصوب من غيرهم، لأنهم عدول هذه الأمة، فتفسيرهم في حالتيه المرفوع والموقوف يأتي بعد تفسير القرآن والسنة.

وجهالة الصحابي غير قادحة في قوله لأنهم عدول، وغيرهم من التابعين وتابعيهم لابد من تعديلهم أو تجريحهم، وخاصة أقوالهم في التفسير، فقد ذكر ابن تيمية في مقدمته عن شعبة بن الحجاج "أنها ليست حجة في الفروع، فكيف تكون حجة في التفسير"(١)، فأقوالهم ليست حجة في التفسير، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، وعلى من بعدهم، قال ابن الصلاح "ومعرفة التابعين والصحابة أصل أصيل يرجع إليه في معرفة المرسل والمسند، كما أن المشهور التسوية بين التابعين في اسم الإرسال، وحكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر" (٢) ولهذا السبب احتج الشافعي بمرسلات سعيد بن المسيب، فإنها وجدت مسانيد لها من وجوه أخرى، وهذا الحكم من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه، هو المذهب عند ابن الصلاح الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، ونقاد الأثر وتداولوه في تصانيفهم.(٣)

قال ابن تيمية "والمراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصدًا أو الاتفاق بغير قصد كانت صحيحة قطعًا، فإن النقل إما أن يكون صدقًا مطابقًا للخبر، وإما أن يكون كذبًا تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه"(٤) فكبار

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٧.

(٢) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ٤٤٤.

(٣) ابن الصلاح: المقدمة ١٣٦.

(٤) ابن تيمية: المقدمة ٢٥.

التابعين المعروفين في مكة والمدينة والشام والبصرة مثل أبي صالح السمان، والأعرج، وسليمان بن يسار وزيد بن أسلم، وأمثالهم علم قطعًا أنهم لم يكونوا ممن يتعمد الكذب في الحديث فضلاً عمن هو فوقهم مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد أو سعيد بن المسيب أو عبيدة السلماني أو علقمة بن الأسود ونحوهم.

وخلاصة القول في أقوال التابعين في التفسير إن كانت مسندة إلى النبي وبدون ذكر الصحابي، ووجد له من وجه آخر ما يعضده ويقويه قبلت هذه المرويات واحتج بها، إما إذا اختلفوا وخاصة في التفسير، ولم يتفقوا على رأي، فالرجوع إلى اللغة والسياق وعمومات الدين لمن يقدر عليه، وقد نبه صاحب الإحكام قائلاً: والمختار قبول مراسيل العدل مطلقًا، ودليله الإجماع والمعقول وقال: وصورته إذا قال من لم يلق النبي – وكان عدلاً – قال رسول الله فقبله أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل في أشهر الروايتين عنه، وجماهير المعتزلة، والشافعي قبل من هم أمثال ابن المسيب وغيره فلا"[1]، وقال الآمدي في مراسيل الحسن وأبي العالية، قال ابن سيرين: لا تأخذوا بها ورد عليه ابن حزم [2] قائلاً: وهذا ليس إنكارًا للإرسال مطلقًا بل إرسال الحسن وأبي العالية لا غير لظنه أنهما لم يلتزما في ذلك تعديل المروى عنه، فإنهما لا يباليان عمن أخذا الحديث عنه لا على الإرسال.[3]

(١) الآمدي: الإحكام، ١٧٨/٢.

(٢) ابن حزم: الإحكام ٦٦٤/٥.

(٣) الآمدي: الإحكام ١٨٤/٢.

ومن نماذج تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين عند الثعالبي:

١- قوله تعالى: (الم)[١] قال المفسر: اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين، فالصحابة مثل أبي بكر وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعثمان وابن مسعود وجماعة من المحدثين وسفيان الثوري والشعبي قالوا: إنها سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها وتمر كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء بل يجب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولاً، فقال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم – الحروف المقطعة في القرآن اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها ورواية عن ابن عباس هي أسماء أقسم الله بها، أو هي حروف تدل على "أنا الله أعلم" وقال قوم، هي حساب أبي جاد لتدل على مدة ملة محمد صلى الله عليه وسلم: وهو قول ابي العالية الرياحي، وهذان رأيان في الحروف[٢] المقطعة، ولم يحدد الثعالبي موقفه منهما وهل هو يقول بالتوقيف أو التوفيق والاجتهاد، وخلاصة تفسير الصحابة للحروف المقطعة أنهم مختلفون فيها وكذلك التابعون وما ثبت عنهم مختلف ومتناقض فلا جزم في رأي ولا تحقيق في بيان، وقد مال معظم المفسرين للقرآن بالمأثور إلى رأي الصحابة في أن معنى هذه الحروف المقطعة من المتشابه الذي له معنى ولكن علمه موكول إلى الله تعالى[٣].

---

(١) – الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٦/١، سورة البقرة الآية ١.

– الطبري: جامع البيان ٢٠٥/١، وأورد الأقوال مسندة إلى أصحابها.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٦٤/١.

– ابن منظور: لسان العرب ١٤/١-١٦.

(٣) أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن ٧/١-١٥.

– الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز ١٣٨/١.

٢- قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[١]

قال الثعالبي: الخطاب لجميع الأمة، والآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها، وبجميع شروطها، وذكر الله تعالى الصلاة الوسطى ثانية، وقد دخلت قبل في عموم الصلوات السابقة، لأنه أراد تشريفها، واختلف الناس في تعيينها، فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة أنها صلاة الصبح، وهو قول مالك بن أنس، وقالت فرقة هي الظهر، وورد في حديث، وقالت فرقة: هي صلاة العصر، وفي مصحف عائشة وإملاء حفصة رضي الله عنهم - صلاة العصر، وعلى هذا القول جمهور العلماء، وبه أقول - المفسر - [٢] وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلاة المغرب، ورواية عن ابن عباس وحكى أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة: الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر، وقالت فرقة هي صلاة الجمعة، وقال الشوكاني: إنها أي الصلاة الوسطى قد اختلف أهل العلم فيها إلى ثمانية عشر قولاً[٣]، والثعالبي يرى أنها صلاة العصر تبعًا لما ورد في حديث الرسول عن علي بن أبي طالب قال: كنا نراها الفجر حتى سمعت الرسول يقول يوم الأحزاب: "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارًا". فالمرفوع من الحديث يغنى عن أقوال الصحابة والتابعين الذين اختلفوا في تحديد الصلاة الوسطى[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٨.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ١/١٨٤.

(٣) الشوكاني: نيل الأوطار ١/٣١٢ وتخريج الحديث عن علي بن أبي طالب، وهو صحيح.

(٤) السيوطي: معترك الأقران ١/١٢٤.

أبو بكر بن الجصاص: أحكام القرآن ٢/١٥٥.

٣- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ...﴾[١] قال الثعالبي: اختلف في معنى اللمم فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي ومجاهد والحسن الزهري: الرجل يلم بالذنب ثم يتوب، أي يقع الوقعة ثم ينتهي أي صغار الذنوب التي لا حد فيها ولا وعيد عليها لأن الناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر، ولهم مع ذلك الحسنى إذا اجتنبوا الكبائر، وتظاهر العلماء في هذا القول، وكثر المائل إليه، وقال آخرون منهم زيد بن ثابت وزيد بن أسلم: ذنوب الجاهلية فإن الله تعالى لا يؤاخذ عليها في الإسلام، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: زنا العين النظر، وزنا اليدين البطش، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا وإلا فهو اللمم.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم دون الشرك، وعن ابن عباس قال: اللمم كل شيء بين الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، ورواية عنه أيضًا: ما ألموا به من المعاصي الفلتة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منها، فكل هذه الأقوال موقوفة على أصحابها واختلافهم في معناها اختلاف تنوع لا تضاد، واللمم هو صغائر[٢] الذنوب كما اتفقوا على معنى الآية من الكبائر أنها كل معصية يوجد فيها حد في الدنيا أو توعد عليها بنار في الآخرة أو لعنة وكذلك الفواحش.

---

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٢٥٦/٣ سورة النجم: الآية ٣٢.

(٢) الشوكاني: فتح القدير ١٢٣/٥، سورة النجم: الآية ٣٢.
أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن ٢٩٥/٥.

• **الفصل الخامس: موقف المفسر من الإسرائيليات:**

والإسرائيليات جمع إسرائيلية وهي نسبة إلى النبي إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم – عليهم السلام – وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن جاء من نسلهم إلى عهد موسى عليه السلام ثم عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا باليهود ومن آمن بعيسى منهم النصارى ومن أمن منهم بمحمد فهم مسلمة أهل الكتاب.

وغلبت تسمية الإسرائيليات على ما دخل التفسير والحديث والتاريخ والثقافة الإسلامية عمومًا على النصرانيات، وذلك راجع لوجود عدة مصادر لليهود يستقون منها ثقافتهم ودينهم مثل الأسفار الخمسة أي: التوراة، والزبور، وأسفار الأنبياء من بعد موسى، وكذلك التلمود، أو التوراة الشفوية، ومن التوراة وشروحها والأسفار وما اشتملت عليه والتلمود وشروحه والأساطير والخرافات والأباطيل التي افتروها أو اخترعوها أو نقلوها عن غيرهم كانت معارف اليهود وثقافتهم التي زخرت بها بعض كتب التفسير والمواعظ والقصص عند المسلمين، وأما الموضوعات فهي المكذوبات التي لا أصل لها وهي أخص بالوضع على النبي صلى الله عليه وسلم، والإسرائيليات والموضوعات[1] دخلت ثقافة المسلمين بقصد أو بدون قصد، وغالبًا بنية سيئة متعمدة في إفساد عقيدة المسلمين وزعزعة تمسكهم بقرآنهم وسنة نبيهم، والإسرائيليات ثلاثة أقسام، منها ما علمنا صحته من خلال القرآن والسنة وهو صحيح ومما عندنا يغني عنه، وقسم علمنا كذبه من خلال

(١) – ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ١٠٠.

– د/ محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ١٢.

القرآن والسنة مما يخالفه مثل الطعن في الأنبياء، وأن الذبيح إسحاق مثلاً، فهذا لا يجوز روايته وذكره إلا مقروناً ببيان كذبه.

والقسم الأخير: ما هو مسكوت عنه لا من هذا ولا من ذاك فلا نؤمن به ولا نكذبه، وهو المراد بما في الحديث الذيّ رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونه بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إليكم»[1]

والثعالبي في تفسيره الجواهر وقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين بالأثر والرواية من النقل عن الإسرائيليات والأخذ بها في كثير من الآيات دون نقد أو نقض في أشياء لا تكون من مثله من المفسرين الكبار، والذين لهم باع طويل في الحديث والتفسير وعلوم الإسلام الأخرى، وهذه نماذج من تفسيره، فيها ما لا يجوز قوله أو روايته عن الإسرائيليات.

١- في قوله تعالى ﴿...فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...﴾[2] قال الثعلبي: قيل معناه من نعمة الجنة إلى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة إلى سفل مكانة الذنب بل الصواب ما أشار إليه صاحب التنوير بأن إخراج آدم لم يكن إهانة له بل لما سبق في علمه سبحانه من إكرام آدم وجعله في الأرض خليفة هو وأخيار ذريته قائمين فيها بما يجب لله تعالى من عبادته، والهبوط: النزول من علو إلى سفل، واختلف من المخاطب بالهبوط، فقال السدي وغيره: آدم وحواء وإبليس والحية التي أدخلت إبليس في فمها وروي أن آدم نزل على

(١) صحيح البخاري: بشرح ابن حجر ١٢٠/٨، ك التفسير، ٤٩/٦ ك أحاديث الأنبياء.
(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ٦٦/١. سورة البقرة: الآية ٣٦.

جبل من جبال سرنديب وأن حواء نزلت بجدة وأن الحية نزلت بأصبهان وقيل بميسان وأن إبليس نزل عند الأبلة من ناحية العراق. والآية في غاية الوضوح ولا داعي لكل هذه النقول أو الإسرائيليات، فجمهور المفسرين والعلماء قالوا إن إبليس تولى إغواء آدم مشافهة ووسوسة بما في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1] والمقاسمة ظاهرها المشافهة وهذه القصة أي قصة إبليس والحية نقلتها معظم كتب التفسير عن السدي وأبي العالية الرياحي ووهب بن منبه ما بين مختصر ومبسوط ولم يصح منها شيء كما ذكر الفخر الرازي[2] وكان على الثعالبي أن ينأى بنفسه عن مثل هذه الإسرائيليات أو ينقدها، قال الشوكاني: «فأخرجهما»، توكيد لمضمون الجملة الأولى أي أزلهما، إن كان معناه زال عن المكان أو لم يكن معناه كذلك فهو تأسيس لأن الإخراج فيه زيادة على مجرد الصرف والإبعاد ونحوهما لأن الصرف عن الشجرة والإبعاد عنها قد يكون مع البقاء في الجنة، بخلاف الإخراج لهما عما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة.[3]

٢- قوله تعالى: ﴿...فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾[4] قال الثعالبي: قال ابن عباس: السكينة طست من ذهب من الجنة، وقال مجاهد: السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب، وقال عطاء: السكينة ما يعرفون من الآيات

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢١.

(٢) - الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨٥/٣.

- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٩٦/١.

- د. محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات ١٧٩.

(٣) الشوكاني: فتح القدير ٨٥/١، سورة البقرة: الآية ٣٦.

(٤) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٩٠/١. سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

فيسكنون إليها، وقال قتادة: أي وقار لكم من ربكم ثم نقل المفسر عن ابن عطية قوله: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم تسكن إليه النفوس، وتأنس بها ثم قرر تعالى أن مجيء التابوت فيه آية لهم إن كانوا ممن يؤمن بالآيات. وترك الثعالبي رواية مجاهد دون أي تعليق على الرغم من وجود المعنى الظاهر للسكينة في قول عطاء السابق، قال الشوكاني: "وكان موسى عليه السلام حين ألقى الألواح تكسرت ورفع منها وجمع ما بقي فجعله في التابوت، وكانت العماليق قد سبت ذلك التابوت وجاءت الملائكة به حتى وضعته بين يدي طالوت"(١).

وأما هذه الأقوال المتناقضة في معنى السكينة فلعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من اليهود أقماهم الله فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم، وأنظر إلى جعلهم السكينة حيوانًا تارة وجمادًا تارة وشيئًا لا يعقل تارة أخرى كقول مجاهد، وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض، ويتدافع في رده، ومعنى السكينة لا يحتاج إلى كل هذه الإسرائيليات فهو أسهل مما ذكر كله(٢).

٣- في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾(٣) قال الثعالبي: أو عطف على المعنى الذي هو التعجب في قوله تعالى (ألم تر) قال ابن عباس وغيره: الذي مر على القرية هو عزير، وقال وهب بن منبه وغيره: هو إرميا، قال ابن إسحاق أرميا هو الخضر،

(١) الشوكاني: فتح القدير ٢٩٥/١.

(٢) د. محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ١٧١

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ١٩٩/١. سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

وحكاه النقاش عن وهب بن منبه واختلف في القرية ما هي ؟؟ فقيل: المؤتفكة، وقال زيد بن أسلم: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وترك الثعالبي الآية دون ترجيح أو تحديد أو تحقيق أو نقد أو تمحيص على الرغم من ظهور المعنى في أن القرية هي بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها، والذي مر بها هو عزير نبي الله تعالى وليس الخضر كما ذكر ابن اسحاق أو غيره عن الإسرائيليات[1]، وقال الثعالبي في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا...﴾[2] قال عمرو بن دينار: أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان فإذا رفع القرآن ماتا، قال القرطبي: وهذا هو الصحيح وحكايات من رأى الخضر من الأولياء لا تحصى كثرة فلا نطيل بذكرها وقد اختلف فيه فقيل: هو نبي، وقيل: عبد صالح، وليس بنبي وكذلك اختلف في موته وحياته والله أعلم بجميع ذلك، وقال الثعالبي إن الخضر رأى النبي[3]. والحقيقة أن الثعالبي قد ذكر الأقوال في حياة أو موت الخضر واسمه أو رؤيته للنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يصح منه شيء، وكذلك توقفه لا معنى له، وهو المفسر والعالم، الذي لا تمر عليه هذه الإسرائيلية دون تعليق أو تحقيق.

٤- في قوله تعالى ﴿...وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ...﴾[4] قال الثعالبي: معظم ما

---

(١) الشوكاني: فتح القدير ٣٠٨/١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٣) د. محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات ٢٤٠.

(٤) – الثعالبي: الجواهر الحسان ٥٥٣/١. سورة الأعراف: الآية ٦٩.

– د. محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ١٨٤.

– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥١٨. ط الرسالة ٢٠٠٠م.

قيل عن المفسرين السابقين من عظم أجسام قوم عاد حتى قال: وفي خبرهم أن أقوياءهم كان أحدهم يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه في البحر، فيقوم آخر مكانه حتى هلك الجميع، وقال زيد بن أسلم بلغني أن ضبعًا ربت أولادها في حجاج عين رجل منهم، ومن خبرهم أن الله سبحانه لما أهلكهم بعث طيرًا فنقلت جيفهم حتى طرحتها في البحر، وهكذا روى الثعالبي دون فحص أو نقد، وناقض نفسه في بداية تفسيره للآيات حيث قال: إن البسطة الكمال في الطول والعرض، وقيل زادكم على أهل عصركم وهذا يكفي في تفسير الآية دون الرجوع إلى مصادر واهية وخيالات لا تمت إلى التفسير بصلة أو بيان.

٥- قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] قال الثعالبي: وفي قصة أيوب عليه السلام طول واختلاف وتلخيص بعض ذلك أن أيوب أصابه الله تعالى بأكلة في بدنه فلما عظمت وتقطع بدنه وأخرجه الناس من بينهم ولم يبق معه غير زوجته ويقال كانت بنت يوسف الصديق عليه السلام وقيل اسمها رحمة وقيل في أيوب أنه من بني إسرائيل وقيل إنه من الروم وكانت زوجته تسعى عليه، وتأتيه بما يأكل وتقوم عليه، ودام عليه ضره مدة طويلة وروى أن أيوب عليه السلام لم يزل صابرًا شاكرًا لا يدعو في كشف ما به حتى إن الدودة تسقط منه فيردها ؛ فمر به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به فحينئذ دعا ربه، ثم قال الثعالبي: والله أعلم بصحة ذلك ولو صح لوجب تأويله وأقول للثعالبي: ما أغناك عن هذه

(١)- الثعالبي: الجواهر الحسان ٣٨٤/٢، سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

-محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ٢٧٥.

الروايات وهذه الأمراض التي يعف عنها الناس من الناس فما بالك بنبي من أنبياء الله تعالى، أين فكر الثعالبي وأين نقده وأين دفاعه حتى نسي أن الأنبياء قد عصمهم الله تعالى من أن ينفر الناس منهم، والأولى في تفسير الآية أن الله تعالى ابتلى أيوب عليه السلام بفقد ماله وولده فصبر عليه ثم ردهم الله عليه أفضل مما كانوا عليه تصديقًا لقوله ﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] فأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة أو يصاب بجذام أو أن يرعى الدود في بدنه، فكل ذلك مرجعه إلى الإسرائيليات التي تطعن في عصمة الأنبياء وفي أشخاصهم وفي أعراضهم.

٦- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ الحج ٥٢، قال المفسر [2]، قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية أنه – صلى الله عليه وسلم – لما شق عليه إعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه، فكان ذات يوم جالسًا في نادي قومه، وقد نزل عليه من سورة النجم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فأخذها حتى بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ النجم ١٩، ٢٠ فجرى على لسان النبي: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى" فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله في قراءته حتى ختم السورة. وهذه الرواية وردت عن ابن عباس بطرق مختلفة، قال عنها القاضي عياض: إن هذه الرواية لم يخرجها أحد من أهل الصحة ولا رواها ثقة بسند

(١) سورة ص: الآية ٤٤.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٠٧/٢ سورة الحج الآية ٥٢.

سليم متصل، وإنما أولع بها وبمثلها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم"[١] ولخطورة هذه الرواية التي اشتهرت بقصة الغرانيق، أفرد لها القاضي عياض صفحات لتوهينها نقلاً وعقلاً، فمن جهة المعنى قال إن الحجة قد قامت، وأجمعت الأمة على عصمة الرسول ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، وأما من حيث النقل، فكل روايات القصة ضعيفة واهية، والمرفوع عن ابن عباس من طريق الكلبي مما لا يجوز روايته، قال أبو شهبة في رده لهذه القصة[٢]، وتعليقه على الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري لهذه القصة، إن الروايات كلها مرسلة، ولا يمكن الاحتجاج بالمرسل، وبخاصة في تواتر القرآن أو الزيادة فيه، والحق أن نسيج القصة ونسجها مهما تأول المتأولون مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث والدقة[٣]، وهي قصة موضوعة قال عنها أبو حيان في البحر المحيط: "ذكر المفسرون في كتبهم كابن عطية والزمخشري فمن قبلهما، ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبًا إلى الرسول، وأطالوا في ذلك، وفي تقريره سؤالاً وجوابًا، وهي قصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة فقال: هذا من وضع الزنادقة ولقد عدّها البيهقي غير ثابتة من جهة النقل، ورواتها ليسوا من الصحابة ولا في التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه"[٤] قال الثعالبي: وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين ومعنى قوله تعالى – تمنى – أي تلا، ومنه قوله تعالى

---

(١) القاضي عياض: الشفا في حقوق المصطفى ٢/١١٦-١١٨.

(٢) د. محمد محمد ابو شهبة: الإسرائيليات ٤٤٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٨/٤٤٠ ك التفسير.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ٦/٣٨١ الحج: الآية ٥٢.

﴿لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ أي تلاوة، "وينسخ الله ما يلقي الشيطان" أي يذهبه ويزيل اللبس به، ويحكم آياته، وعبارة البخاري قال ابن عباس: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته، ويقال أمنيته أي قراءته، والآية بعدها تبين ذلك ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ الحج ٥٣، أي اختبار وامتحان للذين في قلوبهم مرض عامة الكفار، والقاسية قلوبهم من خواص المشركين كأبي جهل وغيره[١].

٧- في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[٢] قال الثعالبي: حكى عن الثعلبي هنا حكاية عن عبد العزيز بن أبي داود عن رجل لقى إلياس في أيام مروان بن الحكم وأخبره بعدد الأبدال وعن الخضر في حكاية طويلة لا ينبغي إنكار مثلها، فأولياء الله يكاشفون بعجائب فلا يحرم الإنسان التصديق بها، جعلنا الله من زمرة أوليائه وهذا كلام ساقط من أوله إلى آخره بل موضوع ومكذوب، كان على الثعالبي أن ينزه تفسيره عنه، وأن ينقد أو يعلق عليه بشيء غير هذا التصديق الذي لا يصدقه عقل مؤمن، فأين إلياس النبي من عهد مروان بن الحكم إلا أن يكون أحد المتصوفة المشهورين، وليس النبي المعروف؟ وأين الخضر كذلك ؟ والأبدال وغيرها لا يقول بها إلا المتصوفة الذين انساق وراءهم الثعالبي دون تمييز أو تفريق، مما جعل تفسيره محشوًا بكلامهم ونوادرهم ومواعظهم وسخافاتهم، كأنهم هم العلماء وما عداهم ليسوا كذلك، قال الشوكاني: من قال الخضر هو إلياس فهو حديث

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان ٤٠٧/٢، سورة الحج: الآية ٥٢.

(٢) الثعالبي: الجواهر الحسان ٥/٣، سورة الصافات: الآية ١٣٠.

موضوع كما قال الذهبي[١] وقال أبو شهبة: وأخلق بهذا أن يكون موضوعًا.[٢]

٨- في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[٣] قال الثعالبي: وذكر الثعلبي فيها ألغازًا وأقوالاً باطنة يجب أن لا يلتفت إلى شيء منها، ولا شك في أطراحها، فمنها نقله عن الثوري أن مرج البحرين فاطمة وعلي رضي الله عنهما، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ثم تمادى في نحو هذا مما كان الأولى به تركه، وهذا التفسير للآية يخرجها عن معناها الظاهر، وليت الثعالبي لم ينقله في تفسيره وكان الأولى به أن يحقق ما بدأ به كلامه عن هذه الأقوال، وإنما ذكرها هنا هل من قبيل رضاه عنها أم من قبيل بيان فسادها والذي يفهمه المطالع لتفسيره أنه راض عن هذا التفسير على الرغم من كونها باطنية أي تجعل للكلام ظاهرًا وباطنًا وهو من التفسير المرفوض للقرآن، والذي رده كل المحققين من أهل السنة وغيرهم[٤] وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تفسيرًا للفظ بما لا يدل عليه بحال من الأحوال[٥]، والذي وقع فيه الثعالبي ورواه.

٩- في قوله تعالى ﴿...وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ...﴾[٦] قال الثعالبي:

---

(١) الشوكاني: فتح القدير ٤/٤٤٤.

(٢) محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ٢٦١-٢٦٤

(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان ٣/٢٧٣، سورة الرحمن: الآية ١٩.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٣٨.

(٥) المصدر نفسه ٨٨.

(٦) الثعالبي: الجواهر الحسان ٣/٢٠٩، سورة الفتح، الآية ٢٩.

وحكى النقاش عن ابن عباس أنه قال: الزرع النبي فآزره علي بن أبي طالب، فاستغلظ بأبي بكر، فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب، وهذا تفسير غريب للآية، وحمل اللفظ على غير معناه كما سبق عن ابن تيمية في الآية السابقة.

١٠- في قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[١] قال الثعالبي: قال مجاهد والضحاك وابن زيد وعكرمة: ق: اسم الجبل المحيط بالدنيا، وهو فيما يزعمون من زمردة خضراء، منها خضرة السماء وخضرة البحر.

وقال الثعالبي في قوله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٢] - ن - هي اسم الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع فيما يروي.

وهذه كلها غرائب وعجائب لا ينبغي للثعالبي أن يرويها أو يذكرها وخاصة أنها لا تخدم تفسير القرآن، فهي إسرائيليات مروية عن أهل الكتاب تهدف إلى تشكيك المسلمين في قرآنهم وأنبيائهم.

• أهم النتائج:

١- تفرد الثعالبي في تفسيره من حيث المنهج والمصادر والأهمية في النقل عن السابقين.

٢- مصادر تفسير الثعالبي متنوعة، ولم تقتصر على نوع من الأنواع مما جعل تفسيره جامعًا مانعًا.

---

(١) - الثعالبي: الجواهر الحسان ٣/٢٢٠، سورة ق، الآية ١.
- محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ٣٠٠.

(٢) - الثعالبي: الجواهر الحسان ٣/٣٦٢ . سورة القلم، الآية ١.
- محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ٣٠٥.

٣- منهج الثعالبي في تفسيره منهج بالمأثور يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن ثم السنة ثم أقوال الصحابة والتابعين ثم الرجوع إلى اللغة وعمومات الدين.

٤- يعتمد الثعالبي أسباب النزول في تفسيرِه، كما أنه من القائلين بعموم اللفظ في أسباب النزول لا بخصوص السبب.

٥- نقل الثعالبي عن الصوفية وردد أفكارهم وأخطاءهم دون تصحيح أو نقد مما جعل تفسيره محشوًا بكلامهم، وهو مأخذ عليه، ونقد في حقه.

٦- ظهرت الإسرائيليات والموضوعات في تفسير الثعالبي كغيره من المفسرين بالمأثور، وترك النقد كثيرًا، ولم يفحص ما نقله من حيث الصحة والثبوت وانساق وراء المفسرين القدماء دون أن يعيب عليهم ما نقلوه عن الإسرائيليات.

٧- اعتمد الثعالبي في تفسيره على فقه المالكية وكتبهم وتأثر بهم نقلاً وفكرًا ومذهبًا.

٨- يحتاج تفسير الثعالبي إلى تحقيق دقيق يرد على ما فيه من خرافات الصوفية، ودحض الإسرائيليات ونقدها نقدًا موضوعيًا، والرد على القدح في عصمة الأنبياء أو إعراضهم، وبيان كذب الموضوعات والخرافات التي نقلها الثعالبي في تفسيره.

٩- الثعالبي شخصية متعددة المواهب والفنون، وتحتاج إلى أكثر من دراسة تبين قيمة هذا الرجل وقيمة كتبه.

• **المصادروالمراجع**

١- **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:** جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، ط٢ القاهرة ١٣٩٤هـ

٢- **الإحكام في أصول الأحكام للآمدي:** سيف الدين أبو الحسن ت ٦٣١هـ ط بيروت ١٩٨٣م.

٣- **أحكام القرآن للجصاص:** أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت ٣٧٠هـ ط القاهرة د ت

٤- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير:** د/ محمد محمد أبو شهبة ط٥ القاهرة ١٩٨٤م

٥- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي:** محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ط بيروت ١٩٩٦م

٦- **الأنساب للسمعاني:** أبو سعيد عبد الكريم محمد بن منصور السمعاني ت ٥٦٢هـ ط بيروت.

٧- **البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية:** د/ عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان ط الشروق / بيروت

٨- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد:** ابن رشد الحفيد ت ٥٩٥ هـ ط القاهرة ١٩٨٣م

٩- **البرهان في أصول الفقه للجويني ت ٤٧٨هـ:** تحقيق د/ عبد العظيم الديب ط القاهرة ١٤١٠هـ

١٠- **البرهان في علوم القرآن للزركشي ت ٧٩٤هـ:** ط القاهرة ١٩٥٧م.

١١- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي:** مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ تحقيق محمد علي النجار ط القاهرة ١٩٩٦م.

١٢- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير ت ٧٧١هـ:** ط السعودية ٢٠٠٢م ط القاهرة ١٩٧٣م

١٣- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ٦٠٦هـ:** ط طهران د.ت

١٤- **التفسير والمفسرون للذهبي:** د/ محمد حسين الذهبي ط مصر ١٩٧٦م

١٥- **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ ط – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٨م

١٦- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري:** ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ط دار المعارف ١٩٧٠

١٧- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون:** برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون ٧٩٩هـ وبهامشه نيل الابتهاج

ط بيروت د.ت

١٨- **الرسالة للشافعي ت ٢٠٤هـ :** ط التراث / القاهرة ١٩٧٩م تحقيق أحمد محمد شاكر.

١٩- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور الكتب المشرفة للكتاني:** محمد بن جعفر الكتاني ت ١٣٤٥هـ ط بيروت ١٩٨٦م.

٢٠- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:** محمد محمد مخلوف ط بيروت. د.ت

٢١- **صحيح الترمذي:** بشرح ابن العربي ط القاهرة ١٩٣١م

٢٢- **صحيح مسلم:** بشرح النووي ط بيروت، ١٩٨٦م

٢٣- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي:** شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ ط بيروت، د ت

٢٤- **طبقات المفسرين للداودي ت ٩٤٥هـ:** ط القاهرة ١٩٧٢م

٢٥- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ** ط بيروت ١٣٩٠هـ.

٢٦- **فتح البيان في مقاصد القرآن:** صديق حسن خان ت ١٣٠٧هـ ط دار الكتب ١٩٧٠م

٢٧- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ت١٢٥٠هـ** ط بيروت ١٩٩٨م.

٢٨- **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات عبد الحي عبد الكبير الكتاني:** ط بيروت ١٩٢٢م

٢٩- **الكفاية في علم الرواية:** للبغدادي ت ٤٦٣هـ ط القاهرة ١٣٥٧هـ

٣٠- **لباب النقول في أسباب النزول:** للسيوطي ٩١١هـ ط بيروت ١٩٨٣م

٣١- **المجيد في إعراب القرآن المجيد :** ابراهيم محمد الصفاقسي ت ٧٤٢هـ تحقيق موسى محمد زين ط ليبيا ١٩٩٢م.

٣٢- **المحصول في علم أصول الفقه:** للرازي ت ٦٠٦هـ تحقيق د. العلواني ط السعودية ١٩٧٩م.

٣٣- **معترك الأقران:** للسيوطي ت ٩١١هـ ط بيروت ١٩٨٨م

٣٤- **معجم المؤلفين:** عمر رضا كحالة ط بيروت د.ت

٣٥- **معرفة علوم الحديث:** للنيسابوري ٤٠٥هـ ط الهند ١٩٣٧م

٣٦- **المسودة في أصول الفقه:** أحمد بن تيمية ت ٩٤٥هـ ط المدني القاهرة ١٩٨٦م

٣٧- **مقدمة في أصول التفسير:** لابن تيمية ٧٢٨هـ تحقيق د.عدنان زرزور ط بيروت ١٩٧٢م

٣٨- **الموافقات في أصول الشريعة:** للشاطبي ٧٩٠هـ ط دار الفكر – القاهرة ١٩٧١م.

٣٩- **الناسخ والمنسوخ:** هبة الله بن سلامة ١٤١٠هـ ط بيروت ١٩٨٤م.

٤٠- **نيل الأوطار:** للشوكاني ١٢٥٠هـ ط القاهرة – ١٢٩٧هـ

٤١- **نيل الابتهاج، بتطريز الديباج:** أحمد بابا التنبكتي ت ٩٦٣هـ ط ليبيا ٢٠٠٠م.